

جريدة الأيام: الخميس 21 ماي 1987

قراءة في ديوان نؤارة الملح

بقلم: عبد العزيز القصير

لا تقل كما قيل،

واطلع مكان الشمس.

شروط يلزمك به "صالح القرمادي" > «إن خشيت الندامة/ وأحببت القلوب البيضاء» في قصيدة الندامة، اختاره سوف عبید فاتحة لـ "نؤارة الملح".

الفاتحة صدى لصرخة "أبي العلاء" في أدباء عصره: وإني وإن كنت الأخير زمانه، لآت بما لم تستطعه الأوائل ولا مدال للمقارنة فلكل عصر فلسفته وشعره.

إذن منذ البدء يعدنا "سوف عبید" بأنه لن يقول كما قيل، ثم يقدم لنا "نؤارة الملح" فلا تصلنا إلا بعد شهور لأن صاحبها لم يسأل أية جهة رسمية، ماذا يكتب؟ لأن من يريد أن يبدع لا يسأل إلا أصحاب الولاية من أدباء ونقاد.... في الرد عن هذا السؤال.

* المضمون:

النؤار لا يطلع في الملح غير أن للشعر قاموسا خاصا. فالمرأة قد تأخذ القصيد شكل الوطن أو الذات أو الحرية والجنين في "الشهر التاسع" تبشير بالغد والصبح والعيد.

نؤارة الملح ضاربة في عمق الجراح: "بازغة نؤارة الملح / من كل جرح" يحوي كأسها ثلاث عشرة بتلة. سميّ البتلة الأولى "خيول الإفرنج" صورههم فيها يمرّون على معصم معشوقة عمرها "سنين عددا" يتزحلّقون يتمرّغون ويناولونها "كل موانع الحمل".

والبتلة الأخيرة "المقهى" تعبق برائحة الدخان واللغو، ولكن "من ست تثبت بصماته بعد مسح الطاولة؟!"

وبين القصيدة الأولى والأخيرة قصائد مليئة بتناقضات الوطن وأحزانه. البتلة الثالثة "الرّورق أكبر من البحر" وهي أكبرهم مساحة تجعلك بدون أبعاد، كالتقطعة لتفتح أمامك أبعاد يقف خلفها الشاعر متشججا جبينه أخاديد، عيناه غائرتان شفّته مفلّتان. فالأزهار "مجروحة ننتة / الأعشاب مداسة عفنة / ... لا شيء في الحديقة / ... الأغصان قضبان / والأوراق حديد" والكلّ يعيش الإغتراب: "هل أحدا يشبه أحدا/ هل أنت تشبه منك/ ولا حتى وجهك/ والبصمات؟!"

والمدينة محكومة بقوانين الغاب: "بشر يف ترس بشر را/ نفي فهم / أمم كالغنم/ لحم على وصمّ / دم-الم / دم-الم".

تكاد تكون كل بتلة في نؤارة الملح مبكى وشذاها عفونة الواقع، تفتح رثيكا لرائحتها فيصيبك الدوار والغثيان لكن في النهاية خيط طيب يعتد ليملأ

صدرك براحة الأمل وكأته يعدك بالصبح ويبشرك بالفرح.
هكذا الفنّ الخلاق يخرجك من حالتك الساكنة ويجعل "القمع أشدّ قمع
بأن يضيف إليه وعي القمع" ومع هذا يفتح أمامك شبابيك الأمل:
"عندما يكون عمرها سنين عددا/ تعبر الجسر مع العابرين/
عيونها للشمس و 'النملة' تدوسها القدم لكنّها تمضي"
* الشكل:

يقول الأستاذ توفيق بكار "الشعر العصريّ ميزانه تفعيلة الحياة لا تفعيلة
الخليل" وسوف عبيد قلم فنيّ التّحكم بالأوساط الشعبية فأخذ منهم
همومهم تفعيلة وصاغ من العباري الشعبية البسيطة صورا شعريّة رائعة
فكثيرا ما تتردّد في شعره هذه الأسماء "السقيفة والطين ومائدة الشاي.
والحصير والحوش والسواك ... " وأجده في بعض القصائد حزينا يتوسّد
عمق الأسى ولكن كما يقول الدكتور غالي شكري " ...هل نطلب إليه أن
يفتعل الفرحة ويّزيف الحياة؟ أم نقول له أن الحزن العظيم أروع أثرا وأعمق
إجابيّة من التّفاؤل السّطحي السّريع الزّوال".

بعد نؤارة الملح نبقى ننتظر من الشّاعر نؤارة طبيعيّة من حديقة غناء ...
ذلك لن يكون إذا نشدنا فنّا واقعيّا فلا مفرّ من أن تنعكس الآلام العامّة على
نفس الفنّان الحق فالجراح لا تُطلع إلّا نؤارة ملح.

سوق الأحد ماي 87